المنهج الإسلامي في الإدارة: قراءة في المفاهيم والممارسات الإدارية الإسلامية

أ.عيـــدوني العـــياشي
كلية الإقتصاد، جامعة سطيف، الجزائر.
البريد الإلكتروني: ayachi74@hotmail.fr
رقم الهاتف: 213 777930374+
أ.أبوبكـــر بوســـالم
كلية الإقتصاد، جامعة الأغواط، الجزائر.
البريد الإلكتروني: bakeur87@yahoo.fr
رقم الهاتف: 213 550332549+

الملخـــص

انطلاقا من كون الفكر الإداري الإسلامي رافدٌ من روافدِ الشَّرْع الإسلامي، الذي يستمد مصادرَه من مصادرَ ربَّانية عظيمة، وعلى اعتبار أن الفكر الإداري الإسلامي يَختلف عن مصادر الفكر الإداري الحديث، وبالتركيز على ما شهده هذا الأخير –الفكر الإداري الحديث– من انتكاسات مينَّ بها من خلال الأزمات الاقتصادية المتلاحقة والتي كانت الأزمة المالية العالمية أحد حلاقاتها الأخيرة، فقد برزت الحاجة إلى التفكير أو إعادة التفكير في تبني واعتماد المنهج الإسلامي في الإدارة كحل للتخلص من مشاكل وسقطات الفكر الإداري الوضعي؛ وهذا ما سيتم تناوله في هذه الورقة البحثية من خلال تتبع وقراءة مختلف المفاهيم والممارسات الإدارية الإسلامية لأجل الوصول إلى حل بديل لثغرات ومشاكل الفكر الإداري الوضعي للبشر، والذي يكون قابلاً للخطأ والصَّواب.

مقـــدمة

إنّ الإدارة أمر طبيعي وعنصر مهم في حياة الإنسان ونشاطاته المتعددة منذ أن هبط على هذا الكوكب ليكون في الأرض خليفة. وبما أن الإدارة سلوك، فإنه لابد من وجود مؤسس وموجه لهذا السلوك ،كما أن الإسلام لم يأت سدى، كما لم يكن محايدا ومحصورا في العبادات فقط .. وإنما جاء ليشمل بتشريعه وموضوعيته جانبي العبادات والمعاملات، سواءً بسواء، وذلك من منطلق أن العمل عبادة.. ويقصد به العمل الصالح .. والعمل الجيد في الإعداد .. والعمل المتقن في الأداء.

و الإدارة الإسلامية قدمت وستبقى تقدم حلولا إلهية لمشكلاتها الإنسانية والتقنية التي تعجز عن تقديمها اليوم الإدارة الوضعية إزاء مشكلاتها الإنسانية والتقنية القائمة. وحري بنا أن نلوذ بما نمتلك، لا أن نلوذ بما يتملكنا ويملي علينا شروطا في التعسف الإنساني للتطوير والإصلاح الإداري.

كما وأن الإدارة في الإسلام، ملآى بالمبادئ والتوجيهات الخصبة والصافية، وهي بحاجة إلى تكثيف البحوث لاستخراج المقومات السليمة للإدارة والسلوك الإداري، عبر التوقف عند مضامينها الإسلامية ومنابعها الغزيرة بالأفكار والممارسات والنظر في مكانية التوظيف المعاصر لها ضمن بيئاتنا الإدارية القائمة.

1. مفهـــوم الإدارة الإسلامية

لقد وردت عدة تعريفات للإدارة الإسلامية نذكر منها:

"هي تلك الإدارة التي يتحلى أفرادها قيادة وأتباعا، أفرادا وجماعات، رجالا ونساء، بالعلم والإيمان عند أدائهم لأعمالهم الموكلة إليهم على اختلاف مستوياتهم ومسئولياتهم في الدولة الإسلامية". ومنها أيضا "أنها الإدارة التي يقوم أفرادها بتنفيذ الجوانب المختلفة للعملية الإدارية (التخطيط والتنظيم والتوجيه والرقابة) على جميع المستويات وفقا للسياسة الشرعية"[1]. والسياسة الشرعية هنا تعني "السياسة التي تقوم على مبادئ وأصول الشريعة الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة فيما يتعلق بالأحكام والعقائد والعبادات والمعاملات وذلك لجلب المصالح ودرء المفاسد". كما يرد تعريف آخر للإدارة الإسلامية قد يشمل المشاريع العامة والخاصة بأنها "أي نشاط مشروع مقصود صادر عن فرد أو جماعة في فترة زمنية معيَّنة لتحقيق هدف مباح محدَّد".[2]

بيان اختلاف المفهوم الإسلامي للإدارة عن المفهوم الوضعي له[3]:

— **من حيث الفكـــر أو المنهج:**

نجد أن جميع مدارس الإدارة بلا استثناء تركز على المفهوم المادي الدنيوي البحت دون أي ربط بالدين أو الحياة الأخرى، مما جعل نتائجها وآثارها تدور في حلقة مفرغة منذ ظهورها وإلى وقتنا الحاضر؛ لأنها أفكار جزئية قاصرة مصدرها اجتهاد العقل البشري وحده بعيدا عن هدي الوحي الذي هو المصدر الرئيسي للمنهج، أو الفكر الإداري الإسلامي مع عدم إغفال دور العقل في الاجتهاد المشروع.

— **من حيث الهدف والغـــاية:**

نجد أن الإدارة الإسلامية تهدف إلى تحقيق معنى العبودية لله عز وجل، وعمارة الكون وفق منهج الله لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ **الأنعام:** ١٦٢ - ١٦٣ ، بخلاف الغاية والهدف في المفهوم الوضعي للإدارة والذي لا يتجاوز الإطار الدنيوي فهو يهدف إلى إشباع الشهوات والغرائز بلا ضوابط مع التأثر بالشبهات التي تخلخل العقيدة وتضعفها في نفس الفرد المسلم؛ فينعكس ذلك على سلوكه فيصبح مقلدا وتابعا لغير المسلمين.

— **من حيث الوسيـــلة[4]:**

نجد في الإدارة الوضعية أن الفكر المكيافيللي هو السائد، فالغاية تبرّر الوسيلة، وحيث إن الغايات فيها تحكمها الشهوات فإن الوسائل المتبعة لا تحكمها ضوابط الدّين وقيمه لمنهج الإدارة العلماني. بينما نجد الأمر على النقيض من ذلك في الإدارة الإسلامية حيث تخضع للضوابط الشرعية، فالوسائل لها أحكام المقاصد في الشريعة الإسلامية. وعليه فإن الوسائل المتبعة يجب أن تكون مشروعة للوصول إلى الغايات المشروعة في هذه الحياة الدنيا، وهي جزء من هدف أكبر في الحياة الأخرى وهو رضا الله سبحانه وتعالى والفوز بالجنة والنجاة من النار.

1. اهتمام الإســـلام بالإدارة:

تجلت معاني الإدارة الإسلامية في الصور الآتية[5]:

- التعاون في الوصول إلى حكم الشرع؛
- محاولة كشف الأخطاء الملازمة للإدارة؛
- الوصول إلى الحل السليم فيما يجد من لأمور.

– وهناك علاقة وطيدة بين الإدارة والشريعة الإسلامية، فقد أشار القرآن الكريم بلفظة الإدارة في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ البقرة: ٢٨٢ وفي السنة النبوية إشارة أخرى في حديث كعب بن عجرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلي الله عليه وسلم– قال: (لا تقوم الساعة حتى يدير الرجل أمر خمسين امرأة) [رواه الطبراني].

2. مصادر الإدارة الإسلامية:

إن الإدارة في الإسلام هي من حيث المنهج إلهية المصدر، ومن حيث التطبيق إنسانية الأبعاد والمحتوى والممارسات ومن حيث المنظور والتدبير للأمور والتخطيط للمستقبل ومعالجة القضايا المستجدة والحالات الطارئة ومواكبة التغيرات واستيعاب التطورات هي ليست عملية منغلقة وإنما هي تستمد المرونة من الأصول ومن العقول في آن واحد مما يجعل تلك الإدارة في ضوء هذا فقهية التوجيه والحركة والأسلوب والمعالج[6].

وللإدارة الإسلامية مصادر مختلفة تستقي منها توجيهاتها وأحكامها الكلية الأساسية والفرعية الجزئية ، ويمكن تقسيم ذلك إلى:

أولاً : مصادر نصيـــة ، وهي القرآن الكريم والسنة النبوية.

ثانياً : مصادر اجتهادية ، وتنقسم بدورها إلى قسمين :

أ – مصادر اتفاقية وتشمل الإجماع والقياس.

ب– مصادر خلافية ومنها المصادر المرسلة والعرف وشرع من قبلنا ومذهب الصحابي وغير ذلك.

أولاً : مصادر نصيـــة

– القـــرآن الكريم:

وهو الأصل الأول والأساس لجميع أحكـــام الإسلام بما فيها التدبـــير والإدارة حيث يعد القرآن الكريم المرجع لهذه الأحكام.

ويقدم القرآن مجموعة من الآيات التي تشير إلى مسميات ومصطلحات مهمة ذات صلة واضحة بقضايا التدبير وشؤونه، من ذلك الآيات التي تذكر للخلافة والحكم والطاعة وأولي الأمر والسلطان والبيعة والولاية والشورى والعمل حقوق ولي الأمر وحدود تصرفاتهم إلى جانب حقوق الناس وواجباتهم وأداء الأعمال بالعدل والمساواة والأمانة، إلى غير ذلك[7].

وإذا أردنا أن نستعرض بعض الملامح الإدارية في القرآن الكريم لوجدنا أن لفظ إدارة مشتق من الفعل " أدار " وقد ورد في موضع واحد في القرآن الكريم حيث قال تعالى :﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ البقرة: ٢٨٢

والمتتبع لمعاني هذه الكلمة عند العرب يجد لها معان كثيرة منها :

– إدارة الشيء يداً بيد كما دل سياق ذلك الآية الكريمة السابقة؛

– الإلزام بعمل معين أو نهي عن فعل شيء؛

– فتح باب النقاش حول فكرة معينة؛

– إيجاد حل لمشكلة أو مسألة من المسائل.

وحول هذه المعاني تدور أغلب النظريات الإدارية المعاصرة وذلك فيما يتعلق بإصدار الأوامر والسلطة والمشاركة في اتخاذ القرارات لمعالجة مشكلات الإدارة والقيام بعملية التنفيذ والأداء.

مثال: س/ استنبط أهم المبادئ الإدارية الإسلامية من الآية الكريمة ؟

قال تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ الحج: ٤١.

1	التمكين في الأرض	التمكن والسيطرة والنفوذ ويختلف هذا التمكين وفق المستويات المختلفة في الهيكل التنظيمي
2	وحدة الهدف والغاية	إن أداء الصلاة في أوقات محددة وفي جماعة دليل على وحدة الهدف والغاية للمسلمين.
3	وحدة الأمر والقيادة	يتلقى المسلمون توجيهاتهم استجابة لأوامر الله ورسوله
4	الدقة والانتظام والمساواة	إن أداء العبادات بشكل ونسق معين دون تمييز في شكل أو لون أو لغة دلالة على هذه الغاية.

- السنة النبوية: وهي كل ما نقل عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير، وبذلك فهي ثلاثة أقسام:
- السنة القولية : وتسمى الحديث ، وتمثل كل ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم قولاً ؛
- السنة الفعلية : وتمثل كل ما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم من أعمال وإن لم يصحبها قول؛
- السنة التقريرية : وتمثل كل ما استدل عليه من سكوت الرسول صلى الله عليه وسلم ورضاه عن أفعال حصلت بعلمه ، فأقرها دون التعليق عليها. وحجية السنة في اتباع أحكامه النابعة من قوله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ الحشر: ٧ .

وتتميز السنة بأنها مبينة ومفصلة لما جاء به القرآن، من أحكام وفرائض، وقد تضمنت جوانب كثيرة مما له صلة مباشرة مع قضايا التدبير . حيث أكثرت من ذكر مفاهيم الراعي والرعية وحددت وجوه البيعة ، وتناولت مضامين الطاعة والشورى والحكم والقضاء وذكرت الأمير والإمارة، وفصلت مسؤوليات الراعي وحقوقه مثلما فصلت حقوق الرعية وواجباتهم ، ثم أوضحت مفاهيم العمل وإعطاء الأجر وعدم الغش ، والدعوة إلى العدل والمساواة في تنفيذ الأوامر والأحكام بين الناس، وغير ذلك[8].

ولو أردنا أن نستعرض سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم وسيرته العطرة لوجدنا أنها المثال الأسمى للإدارة الإسلامية بكل ما تحويه الكلمة من معنى فهو القدوة الحسنة في التخطيط والتوجيه والقيادة واتخاذ القرارات المبنية على الشورى.

ثانياً : مصادر اجتهـــادية

- الاجتـــهاد:

يُعدُّ الاجتهاد من المصادر المتفق عليها وهو مصدر مهم للإدارة الإسلامية لكنه يخضع للسياسة الشرعية القائمة على المصادر النصية : (القرآن الكريم والسنة النبوية).

وقد لجأ أولو الأمر من المسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم للاجتهاد لاستنباط الحكم والتوجيه الواجب الإتباع فيما استجد من أمور لم يرد فيها نص صريح قطعي الدلالة في القرآن والسنة.

وحيث أن مشروعية الاجتهاد دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، والتي منها على سبيل المثال قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ النساء: ٨٣.

أما الأحاديث فهي كثيرة ، منها : حديث معاذ بن جبل المشهور حيث بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قاضياً وسأله:" بم تقضي؟ قال: بكتاب الله . قال فإن لم تجد : فبسنة رسول الله . قال فإن لم تجد قال: فبرأيي" .

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن اجتهد فأخطأ فله أجر "

ولكن ينبغي أن يفهم بأن مجال الاجتهاد ليس لكل شخص سواء كان أهلاً لذلك أم لا . حتى لا نقع في المحظور من " عصرنة الإسلام " أو " الإسلام العصري " الذي يتكيف مع أهواء البشر ومنجزات العصر كما حدث في مجالات كثيرة.

إن سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم الإدارية لم تلزم من جاء بعده من الأئمة والقادة ، فالأمور كلها تطور وتتغير باختلاف الأزمنة والأمكنة، وكل ما يتطلبه الشرع من هؤلاء الأئمة أن يلتزموا الإصلاح وألا يعطلوا نصاً تشريعياً.

إذن فالإدارة في الإسلام تعتمد على اجتهادات القادة والأئمة في جزئياتها ولكن في مبادئها وأحكامها وأصولها فهي نابعة من الكتاب والسنة ولا ينبغي أن تتعارض جزئياتها وتفصيلاتها مع أي حكم شرعي معلوم.

– الإجمـــاع:

وهو لغة العزم والاتفاق، حيث إن العزم فيه جمع الخواطر، وأن الاتفاق فيه جمع الآراء على الأمر الشرعي. كما ويعني الإجماع: " اتفاق المجتهدين من الأمة الإسلامية في عصر من العصور وعلى حكم شرعي، بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم".

وحجية الإجماع مردها إلى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : " عليكم بالجماعة ، فإن الله لن يجمع أمتي إلى على الهدى" بالإضافة إلى أن العقل ينفي عادة ، أن يخطئ أهل الإجماع إذا ما اتفقوا على رأي من الآراء ، لأن الغفلة مع الفرقة ، وأنها لا تكون مع الجماعة كافتهم.

وقد استمد التدبير الإسلامي بعض مفاهيمه ومقرراته التفصيلية والقواعد العملية ، التي اعتمدها مما أقره الإجماع، من ذلك ما ارتبط بموضوع الخلافة وحسم أمور المعاملات المستجدة ، والإجماع على البيعة بنوعيها الخاصة والعامة ، وما يتعلق بتنظيم الأموال العامة والممتلكات التي تشرف عليها الدولة الإسلامية[9].

3. أدوات الإدارة الإسلاميـــة:

ونجد أن أدوات الإدارة الرئيسة هي[10]: التخطيط، التنظيم، التوجيه، الرقابة.

فضلا عن بعض النظم والأساليب الفرعية الأخرى المستمدة من القرآن الكريم، ومن سنة نبينا القائد الإداري الحكيم، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

ولنستعرض أمثلة على هذه الأدوات الأربعة (والمسماة بوظائف العملية الإدارية):

– **التخطيـــط**: هو عبارة عن عملية فكرية تعتمد على المنطق والترتيب والتقدير والمرونة وإيجاد البدائل، ومن شواهده في القرآن قوله تعالى على لسان نبيه يوسف عليه السلام: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ يوسف: ٤٧ - ٤٩ ، وبهذا التوجيه القرآني الذي هدى الله إليه يوسف عليه السلام، فإن المسلم مُلزَم بالتخطيط المستقبلي لتفادي النكبات والأزمات التي قد تحيط بالأمة في كل مجال. ومن الأحاديث النبوية الدالّة على التخطيط والعمل لتفادي تقلبات المستقبل حتى يحمي الإنسان نفسه ومَنْ تحت ولايته قوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص- رضي الله عنه-: "...إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس...) وأيضًا قوله للأعرابي الذي ترك ناقته عند باب المسجد دون أن يعقلها: "اعقلها وتوكل"، وفي هذا الحديث إشارة للإداري المسلم بأن يربط التوكل على الله بالاحتياط والتخطيط الذي لا يتنافى مع التوكل، ولا مع القضاء والقدر.

– **التنظيـــم**: هو بيان وتحديد الهيكل الذي تنتظم فيه علاقات السلطة والمسؤولية وهو كيان حي متحرك ولابد من إعداده ليتلاءم دائمًا مع المتغيرات الداخلية والخارجية، وهو ما جاء به الإسلام قال تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾ الزخرف: ٣٢ ، وهذا غاية في التنظيم، فهو تنظيم الكون والحياة بأجمعها.

ونجد في قدوم النبي – صلى الله عليه وسلم– أولى خطوات التنظيم وهي المواخاة حيث قال: (تآخوا في الله أخوين أخوين) فآخى بين المهاجرين والأنصار ليكونوا نواةً لتنظيم المجتمع.

– **التوجـــيه**: هو القدرة على السير الصحيح مع الموظفين، وهدايتهم وتوجيههم مع إيجاد روح الود والحب والرضي والانتماء للعمل. ولقد اعتنى الإسلام بالتوجيه وأولاه رعاية خاصة لشحذ الهمم، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ آل عمران: ١٥٩ ، وهذا توجيه أعلى للقائد والحاكم، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ البقرة: ٢٣٧ ، وهذا توجيه عام للمحكومين والعامة.

– **الرقـــابة**: هي عملية ملاحظة نتائج الأعمال التي سبق تخطيطها ومقارنتها مع الأهداف التي كانت محددة واتخاذ الإجراءات التصحيحية لعلاج الانحرافات، وهي غاية الأمر ومنتهاه، فبعد التطبيق الكامل يأتي دور التأكد من أن تنفيذ الأهداف المطلوب تحقيقها في العملية الإدارية تسير سيرًا صحيحًا حسب الخطة والتنظيم والتوجيه، ولعل الإداري المسلم المؤمن هو المدرك حق الإدراك حقيقة الرقابة، والعمل على إنفاذها سواء على نفسه أو على غيره، ومن شواهد الرقابة في القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ وقوله عز وجل: ﴿**ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**﴾ ومن السنة النبوية حديث جبريل عليه السلام: (... فأخبرني عن الإحسان؟ فقال صلى الله عليه وسلم: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك... الحديث)، وهذا من أعظم أنواع الرقابة الذاتية، وهنا يتفاضل الناس ليس فقط بمقدار ما يحملونه من (علوم) الإدارة، بل أيضًا بمقدار ما يُجيدونه من (فنونها) وأساليب تطبيقه.

4. مكونات الفكـــر الإداري الإسلامي[11]:

القيم والأخلاق مكون رئيس في المشروع الحضاري الإسلامي، فهي العماد الثاني بعد توحيد الله عز وجل، وتأصيل معاني القيم والأخلاق، هو السند الرئيس للقيام بدور الخلافة الذي شرَّف الله به الإنسان، وقد حاول البعض التهوين من شأن القيم والأخلاق متصوراً أن التقدم العلمي والأداء الصحيح يمكن أن يتحقق بدونهما، فالإسلام يدعونا إلى التقدم العلمي متحصنين برسالته التي تقوم على القيم والأخلاق والأخوة الإنسانية. ويثبت لنا الزمن صحة ما ذهب إليه المنهج الإسلامي، فقد أشار تقرير صادر عن صندوق النقد الدولي في أكتوبر 2003 إلى أن السبب الرئيس لفشل خطط التنمية في إفريقيا يرجع إلى سوء التربية الأخلاقية والدينية للقائمين على إدارة عملية التنمية بها.

فالإسلام قد عالج جميع قضايا الإنسان، ووضع الحلول الحاسمة لجميع مشكلاته وأزماته وكان من أهم ما عُني به القضايا السياسية والإدارية العامة؛ لأنها ترتبط بحياة المسلمين ومصيرهم، فوضع لها القواعد والأسس العامة و لم يتعرض للتفاصيل الشكلية.

وتعد هذه ميزة متفردة للإسلام، فقد ثبت أن ما عدا الأسس والمبادئ من تفصيلات أمر خاضع للاجتهاد والرأي والتبديل والتغيير كلما اقتضت الضرورة ذلك. وبهذا تكون الإدارة في الإسلام قابلة لأن تأخذ أشكالاً كثيرة تبعاً لاختلاف الأحوال وتبدل الأطوار الاجتماعية المتعاقبة.

إن بناء المجتمع العربي الحديث يتطلب الالتفات إلى جانبين أساسيين هما: القيم والمفاهيم، والخبرة المتمثلة في التراث الحي من جهة والأفكار الحديثة من جهة أخرى، فالفكر الإداري العربي الإسلامي يمكن أن يكون مصدراً أساسياً لوضع مفاهيم ونظريات في الإدارة تستوعب واقع المجتمع العربي والإسلامي وتستشرف آماله، مع ما يحمله هذا من إمكانية أن يسهم ذلك في إغناء الفكر العالمي بمبادئ ونماذج إدارية جديدة.

5. أهداف الإدارة الإسلاميـــة:

إن أهداف الإدارة الإسلامية هي أهداف ومقاصد الشريعة الإسلامية والتي تسعى الإدارة لتحقيقها وهي ما يعرف بـــ(الضروريات الخمس) :

1/حفظ الدين: حفظ دين الله والقيام التام على إقامته من أهم أصول الإدارة في الإسلام وذلك بتنفيذ أوامر الله وتحكيم شرعه على كل المستويات وفي كل الظروف.

2/حفظ العقل: وهو الحفاظ على عقول الناس مما يسيء أو يؤثر فيها من أسباب مادية أو معنوية فكرية، وتوجيههم للتفكير المنطقي السليم واتخاذ القرار وفق ذلك المنهج القويم.

3/حفظ النفس: وهو الحفاظ على النفس من القتل بدون سبب ويتم ذلك بتطبيق شرع الله عن طريق القصاص قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ البقرة: ؟؟؟.

4/حفظ العرض (الشرف): على الإدارة الإسلامية أن تحافظ على شرف وكرامة الأمة بسلوك واتباع أخلاق الإسلام في التعامل في جميع الأحوال والظروف.

5/حفظ المال: من مسؤولية الإدارة الإسلامية رعاية المال العام والمساعدة في الحصول عليه بالطرق الحلال.

7. خصائص الإدارة الإســـلامية[12]:

– ذات نشاط يتجسد في تقديم سلعة أو خدمة مباحة.

– تسعى لتحقيق أهداف مشروعة سواءً أكانت عامة أم خاصة تتفق مع مقاصد الشرع الخمسة وهي حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال.

– جميع التصرفات الإدارية الصادرة عن الرؤساء أو المرؤوسين تقوم على قاعدة إيمانية متينة أساسها الإخلاص في العمل والإتقان في الأداء والوفاء بالعهد الذي قطعه الموظفون على أنفسهم وتنفيذاً للأمانة التي في أعناقهم، وهي ما تسمى بالرقابة الذاتية .

– كل المعاملات والتصرفات تخضع لقواعـــد قانونية وتعليمات مصدرها الشريعة الإسلامية بمصادرها الأساسية أو الاجتهادية.

– تحرص على تحقيق التوازن بين مطالب الجسد والروح والنفس دون أن يطغى أحدهما على الآخر .

– تتعامل مع الناس كافة باختلاف مشاربهم بغض النظر عن أي فوارق اجتماعية أو عرقية أو لغوية أو دينية وخاصة في الحقوق العامة، تحرياً للعدل والمساواة.

– توظف كافة الإمكانات المالية والبشرية والفنية المتاحة لها التوظيف الأمثل دون تقتير أو تبذير.

– إن العلاقات القائمة بين المستويات الرئاسية ومستويات المرؤوسين (العلاقة الرسمية) ليست علاقات تسلطية بل ترتكز على مفهوم الرعاية التي يجب أن يمارسها كل مسئول مع رعيته من أعلى موقع في الهرم الإداري إلى قاعدته مما يرسخ الاحترام المتبادل والتعاون على البر والتقوى.

– إن جميع الممارسات الإدارية وما يتمخض عنها من نتائج تخضع للمفهوم التعبدي الذي أساسه عبادة الله وحده .

8. نموذج الفاروق "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه في الإدارة[13]:

تعد إدارة الفاروق عمر رضي الله عنه للمنجزات الكبيرة التي حققها بروعة وعظمة المواقف – رغم إقبال الدنيا بفتنتها من مال وجاه، وزيادة رقعة الأرض، وكثرة الوافدين إلى دين الله تبارك وتعالى– نموذجا للدراسة والتنقيب والبحث.

وربما اتسم معظم ما كُتب عن الفاروق بأنه كان تاريخيا مهتما بالسرد دون التحليل، وحين النظر إلى هذا التاريخ بمنظار الإدارة ومبادئها وعلومها وفنونها، نجد الفاروق يستند في إدارته إلى مجموعة من الأسس.. فلنتأملها.

– الوضوح والدقـــة:

الإدارة ليست سلطة يتولاها شخص يصبح بموجبها الآمر الناهي، وليست وسيلة بناء مجد شخصي وتحقيق غرض ذاتي، إنما هي مسئولية ينوء بحملها من لهم قوة وعزم... هكذا يفهمها عمر رضي الله عنه، حيث يقول في أول خطبة "أيها الناس، إني قد وليت عليكم، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم وأقواكم عليكم ما توليت ذلك منكم، ولكفى عمرَ انتظار موافقة الحساب...".

ويضيف: "ولن يغيّر الذي وليت من خلافتكم من خُلقي شيئا إن شاء الله، إنما العظمة له وليس للعباد منها شيء، فلا يقولن أحد منكم: إن عمر تغير منذ ولي، أعقل الحق من نفسي وأتقدم". ويقول: "أنا مسئول عن أمانتي، لا أكِلُه إلى أحد إلا الأمناء وأهل النصح منكم، ولست أجعل أمانتي إلى أحد سواهم إن شاء الله".

ومن التحليل الأولي لكلمات عمر يتضح:

1 – الكفاءة والقدرة من العناصر الملازمة لمن يتحمل المسؤولية؛

2 – تحقيق الأهداف منسجمة مع الجهد واتجاهات العمل لدى المسؤولين؛

3 – التعاون والمشورة من عوامل تحقيق الأهداف؛

4 – العمل تكليف وليس تشريفا وبذلك لا يؤدي لتغير أخلاق المسؤول؛

5 – توزيع الصلاحيات لا يعفي من تحمل المسئوليات.

و هذه المبادئ الإدارية لم يطلقها عمر شعارا بل واقعا حيا التزم بها في كافة جوانب سنوات خلافته الراشدة.

– تحديد الأهـــداف والتزامه بتحقيقها:

والأهداف مؤشرات تضيء الطريق أمام تحمل المسئولية، وتساعد على تحقيقها بأقل وقت وجهد وتكاليف.. وتلك حقيقة يدركها عمر منذ اليوم الأول؛ لذا حدد أهداف إدارته، فيقول في أول خطبة له: "ولكم عليَّ أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذوني بها، لكم عليَّ ألا أجتبي شيئا من خراجكم ولا مما أفاء الله عليكم إلا من وجهه، ولكم عليَّ إذا وقع في يدي ألا يخرج مني إلا في حقه، ولكم عليَّ أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله وأسد ثغوركم، ولكم عليَّ ألا ألقيكم في المهالك ولا أجمركم في ثغوركم، وإذا غبتم في البعوث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا إليهم؛ فاتقوا الله عباد الله وأعينوني على أنفسكم بكفها عني، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحضاري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم".

.. يقرر الفاروق عمر رضي الله عنه أهداف الدولة التي يلتزم بها ويحددها بشكل دقيق: عدم إرهاق كاهل الأمة ماليا، وحسن تصريف الأموال، والعمل على تحسين مستوى المعيشة، وحماية الدولة من الاعتداء الخارجي، وتحقيق الاطمئنان النفسي، والرعاية الاجتماعية. وقد كان عمر خير من التزم بتحقيق هذه الأهداف على الوجه الأكمل.

– شـــروط نجاح العمل:

روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: "القوة في العمل ألا تؤخر عمل اليوم لغد، والأمانة ألا تخالف سريرة علانية، واتقوا الله عز وجل...". هذه القواعد الثلاثة الهامة التي أقرها عمر رضي الله عنه التزمها في كافة أعبائه الإدارية، فما أجل عملا إلى غير وقته، وحزم كل أمره حتى اعتقد البعض مركزية القيادة في منهج عمر.

والأمانة كانت العنصر الأساسي في مراحل إدارته للدولة، فكانت خشية الله نصب عينيه، فالتزم التقوى في رعيته.

– تحديد الأسلـــوب الملائم لكل فرد:

من العوامل المساعدة على اتخاذ القرار المناسب فهم خصائص الأفراد والجماعات الذين يشملهم القرار، وفي ممارسة الفاروق لهذا الأساس في إدارته اعتماد معيارين للتمييز بين الأفراد:

أ – الأسبقية في اعتناق الإسلام وممارسة شعائره.

ب – السمات الخاصـــة بالإنسان.

وقد ورد عنه في ذلك قوله: "لي رأي في هذا المال: لا أجعل من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن قاتل معه". وقد فضّل في العطاء بني هاشم والذين حضروا بدرا.. وقد فضل أسامة بن زيد في العطاء على ولده عبد الله لحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسامة وأبيه.

ولم يكن هذا التفضيل في مجال المال فحسب بل كان في مجال الشورى والرأي ومجال الاستقبالات وقضاء الحاجات. وقد ذكر عمر رضي الله عنه في قيادته للعرب قوله: "إنما مثل العرب مثل جمل أنِف اتبع قائده فلينظر قائده حيث يقوده، فأما أنا فورب الكعبة لأحملنهم على الطريق". وقد التزم عمر هذا المنهج أولا مع ولاته فحملهم على الحق، فكان لا يتردد في التحقيق معهم ومعاقبة المسيء.

ولم يكن الفاروق متساهلا في الحق حتى في المواقف البسيطة؛ لأن الخطأ البسيط يولد خطأ كبيرا، والتاريخ حافل بالروايات حول بأس عمر وشدته في سبيل إقرار الحق، ولعل منها حادثة جبلة بن الأيهم، وهي دليل صادق على ذلك، كما كان يميز بين الأفراد في مواقفهم الخاصة وتاريخهم الفردي.

– إدراك دور القـــدوة:

من أبرز مشاكل الإدارة المعاصرة غياب النموذج أو القدوة.. وقد كان اهتمام الفاروق بتطبيق القدوة الصالحة والنموذج الأمثل لذلك يقول: "الرعية مؤدية إلى الإمام ما أدى الإمام إلى الله فإن رتع الإمام رتعوا".

ثم حدد علاقته بخزينة الدولة وهي أكثر الجوانب حساسية في العمل الإداري فقال: "إني أنزلت نفسي من مال الله منزلتها من مال اليتيم إن استغنيت استعففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف".

وقد التزم ذلك بدقة متناهية فلا ينال من بيت مال المسلمين زيادة عن راتبه إلا إقراضا، وقد ساعده ذلك على إلزام ولاته بهذا المنهج القويم.

ولم يكن يمارس هذا المنهج في المال فحسب بل في كافة شئون الحياة، وليس أدل على ذلك من حادية السمن في عام الرمادة.. وقد كان نموذجا لأهله في ذلك فقرر القاعدة الذهبية "من استعمل رجلا لمودة أو قرابة لا يستعمله إلا لذلك فقد خان الله ورسوله والمؤمنين".

– نشر الوعي بين الجمهور حول الأهـــداف والصلاحيات:

لكي يحدث التفاعل في العملية الإدارية لا بد أن تحقق درجة من الوعي لدى الجمهور.. ويتحقق ذلك الوعي بالمعرفة الواضحة بأهداف المؤسسة والتحديد الدقيق لصلاحيات بمسئوليات أعضاء الهيئة الإدارية؛ تحسبا لاستغلال عدم وضوح رؤية الجمهور بالاستغلال السيئ للصلاحيات والمسئوليات.

ولقد أدرك الفاروق عمر رضي الله عنه أهمية هذا الأساس.. ورغم محدودية وسائل الإعلام في عهد الراشد فإن العزيمة والصدق والأمانة ساهمت في نشر الوعي المطلوب.

فقال: "أيها الناس إني ما أرسل إليكم عمالا ليضربوكم ولا ليأخذوا أموالكم، وإنما أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم، فمن فُعل به شيء سوى ذلك فليرفعه إليّ فو الذي نفس عمر بيده لأقصنّه منه...". ثم خاطب الولاة قائلا: "ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تحمدوهم ففتنوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم".

كما قال أيضا: "أيما عامل لي ظلم أحدا فبلغني مظلمته فلم أغيرها فأنا ظلمته". وكذلك توضيحه للجمهور أسباب عزله لخالد بن الوليد عن قيادة الجيش تجنبا للفتنة كان يصب في ذات المنهج القويم. و لم تقتصر هذه التوعية على مجال دون آخر بل توعية لكافة المجالات المالية والعسكرية والاجتماعية.

تلك هي أهم الأسس التي قامت عليها إدارة الفاروق عمر رضي الله عنه كان ينفذها رضي الله عنه كمن يقرأ من كتاب فغرس المفاهيم الأولى للإدارة الحقة القائمة على الأمانة والمسئولية والتقوى والقوة معا. وحيث إن الإدارة عمل متواصل يبدأ بتحديد الهدف وينتهي بتحقيقه؛ فقد كان الفاروق خير من مارس الإدارة.

خاتمـــــــة:

إنّ تطور البشرية لم و لن يعني إلغاء دور الإسلام و قيادته للبشرية، و صلاحيته لكل مكان و زمان كما يردد الخصوم من أعداء الإسلام و صنائعهم المبهورون بهم من أبناء أمة الإسلام...فالإسلام جاء ليرسي قواعد الأفكار والعمليات الإدارية التي تدعو إليها النظريات الإدارية المعاصرة .

فمبدأ الشورى أحد مبادئ الإسلام ، وأصل من أصول علاقات العمل ، والمبدأ الثاني هو العدل الكامل ، كما أرسى الإسلام قواعد الطاعة وهو مبدأ من مبادئ الإدارة لا يمكن بدونه أن تستقيم أمور الجماعات والمنظمات . كما أن عمر يعتبر أول من وضع لبنة التنظيم الإداري بإدخاله نظام الدواوين، فكان هناك ديوان البريد – الرسائل – المظالم.

قائمة المصادر و المراجـــع :

1. القـــران الكريم.
2. كتب الحديث: والتي منها صحيح مسلم والبخاري.
3. الفهداوي فهمي خليفة ، الإدارة في الإسلام – المنهجية والتطبيق والقواعد، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان ، الطبعة الأولى ،2001م.
4. المزجابي الأشعري أحمد بن داود ، مقدمة في الإدارة الإسلامية ، الطبعة 1، جدة – السعودية، 2000م.
5. بن عابد شعيبي فيصل بن أحمد بن عابد شعيبي ، مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الاقتصاد والإدارة ، التخطيط الإداري الإسلامي في العهد النبوي المدني ، 1421هـــ.
6. المالكي، الرقابة الإدارية الإسلامية، جامعة الملك سعود قسم الإدارة التربوية، بحث تخرج، 1998.
7. العتيبي، الإدارة الإسلامية مهامها وطبيعتها الأساسية ،كلية الدراسات العليا ، قسم الإدارة التربوية للمملكة العربية السعودية،2001.
8. محمد إبراهيم المدهون، الفرق بين الإدارة الإسلامية وغيرها من الإدارات (منهج الفاروق في الإدارة) ، 2010/01/15.

– رسائل ماجـــستير:

9. الأسمري، فرج بن ظافر، الحوافز في الفكر الإداري الإسلامي: دراسة مقارنة، إشراف أحمد بن داود المزجاجي، رسالة ماجستير غير منشورة،جدّة –كلية الإقتصاد والإدارة في جامعة الملك عبد العزيز–،2005.

- المراجع باللغة الإنجليزية:

10. Dimock ; Marshal E. and Dimock, public administration,4th, ED, New York, Holt Rinhart and Winston, inc,2011.

- مواقـــع الإنترنت:

11. www.isegs.com
12. http://www.knowledgeoman.com

الهوامـــش :

[1]- العتيبي، الإدارة الإسلامية مهامها وطبيعتها الأساسية (مادة الإدارة التربوية في الإسلام) ، كلية الدراسات العليا ، قسم الإدارة التربوية للمملكة العربية السعودية .

[2]- أحمد بن داود المزجاجي، مقدمة في الإدارة الإسلامية، جدة ، ط1، 2000،ص: 45.

[3]- الإدارة في الحضارة الإسلامية.

http://www.knowledgeoman.com/arabic/forums/forumdisplay.php

[4] Dimock; Marshal E. and Dimock, public administration, 4th, ED, New York, Holt Rinhart and Winston,2011, p52.

[5] -http://www.knowledgeoman.com/arabic/forums/forumdisplay.php

[6]- فهمي خليفة الفهداوي، مرجع سابق، ص 147.

[7]- فهمي خليفة الفهداوي، مرجع سابق ، ص: 148.

[8]- فهمي خليفة الفهداوي، مرجع سابق، ص: 149.

[9]- فهمي خليفة الفهداوي، مرجع سابق، ص:149.

[10]- مرجع سابق.

[11] الأسمري، فرج بن ظافر، الحوافز في الفكر الإداري الإسلامي: دراسة مقارنة، إشراف أحمد بن داود المزجاجي، رسالة ماجستير غير منشورة،جدّة، كلية الإقتصاد والإدارة في جامعة الملك عبد العزيز، 2005، ص75.

[12]- أحمد بن داود المزجاجي، الإدارة الإسلامية (المفهوم والخصائص) ، مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الاقتصاد والإدارة، جدة، ع2، ص90.

[13]- محمد إبراهيم المدهون، الفرق بين الإدارة الإسلامية وغيرها من الإدارات (منهج الفاروق في الإدارة) ، 2010/01/15.

www.isegs.com